الأبعاد الثقافية للتنمية السياحية في المدن التاريخية – دمشق مدينة بروح...!!!

Cultural dimensions of tourism development in historical cities Damascus is a city with a soul...!!!

أ.د. بهجات محمد بهجت

أستاذ في المعهد العالي للتخطيط الإقليمي بجامعة دمشق – سورية

ملخص:

تركز الورقة على فهم دمشق كجدة كبرى للعواصم في العالم، وأسرار وجودها في المكان واستمرارها عبر الزمان، انطلاقاً من مفهوم عبقرية المكان، وعبقرية ساكنيه في تهيئته كمكان محبب للعيش، ونشوء مجتمع المدينة المتميز بالتعاضد المجتمعي، وتشكيل رأس مال اجتماعي غني، يدعم حياة المدينة بالكامل، كما يدعم السياحة فيها، ويجعلها أكثر استدامة ونجاحاً.

تتجه مشاريع التنمية السياحية عموماً نحو تطوير البنى التحتية والإدارية اللازمة لها، انطلاقاً من المقومات الطبيعية والتاريخية التي تمتلكها كل منطقة. على أمل أن تجتذب هذه المقومات والبنى والتسهيلات الإدارية حركة سياحية تلبي الطموحات والخطط الموضوعة والاستثمارات الموظفة. لكن الواقع يفرض شروطه، وتصبح حسابات الحقل غير حسابات الخطط بسبب تجاهل العوامل الثقافية، أو التقليل من أهميتها.[1]

ستلقي هذه الورقة الضوء على أهمية المكون الثقافي في التنمية السياحية للمدن التاريخية، وأثر المكونات الثقافية المختلفة على النشاط السياحي في المدينة. وستظهر روح المكان الذي تتمتع به دمشق ليس فقط بعمارتها وبناها التحتية السياحية، إنما ما تضفيه الثقافة المحلية الملونة على المكان من سحر وجاذبية، فتظهر أهمية تنوع الأصوات والروائح والألوان والمعاملة في الأسواق التقليدية والشوارع والمقاهي والمطاعم والفنادق التراثية في الجذب السياحي والاستدامة السياحية.

كلمات مفتاحية: عبقرية المكان، روح المدينة، رأس المال الاجتماعي، الاستدامة السياحية، تقاليد التجارة والضيافة.

Abstract

The paper focuses on understanding Damascus as the grandmother of the capitals of the world, and the secrets of its existence in the place and its continuity through time, based on the concept of the genius of the place, and the genius of its residents in creating it as a pleasant place to live, and the emergence of the city society characterized by social solidarity, and the formation of a rich social capital, which supports the life of the city completely It also supports tourism in it and makes it more sustainable and successful.

Tourism development projects are generally directed towards developing the necessary infrastructure and administration, based on the natural and historical components that each region possesses. In the hope that these components, structures and administrative facilities will attract a tourist movement that meets the aspirations, plans and investments employed. But reality imposes its conditions, and the field accounts become not the accounts of plans due to the ignoring of cultural factors, or the underestimation of their importance.

[1] أ. هشام المكي ، نحو هوية مستدامة للمدينة العربية: رؤية فكرية عابرة للتخصصات.

This paper will shed light on the importance of the cultural component in the tourism development of historical cities, and the impact of the various cultural components on the tourism activity in the city. And the spirit of the place that Damascus enjoys will appear, not only with its architecture and tourist infrastructure, but what the colorful local culture brings to the place of charm and attraction, showing the importance of the diversity of sounds, smells, colors and treatment in traditional markets, streets, cafes, restaurants and heritage hotels in tourist attraction and tourism sustainability.
Keywords: The genius of space, the spirit of the city, social capital, tourism sustainability, commercial and hospitality traditions.

مقدمة

مرت على دمشق في السنوات الماضية، أيام وليال صعبة، فقد كان الخطر محدقاً بها وما يزال. لكن حياة المدينة لم تتوقف ساعة واحدة. والراغبين بالحياة يجوبون شوارعها وحاراتها، يتسوقون من أسواقها، ويؤمون جوامعها وكنائسها، ويجلسون في مقاهيها ومطاعمها. فما السحر الذي تمتلكه دمشق كي تكون محبوبة عشاقها، وغريمة أعدائها؟؟

الموقع وعبقرية المكان

تقع دمشق في حوضة شكّلها نهر بردى بعد خروجه من منطقة جبلية عبر سلسلة من الخوانق النهرية، فحطّ رحاله في تلك الحوضة (المروحة النهرية) مالئاً الأرض برسوبات حملها معه تتدرج من الحجرية والحصوية الخشنة في الغرب، إلى الطينية في الشرق، عند مصبه النهائي شرقي الحوضة (بحيرة العتيبة سابقاً). يحضن هذه الحوضة جبل قاسيون من الشمال الغربي، ويحرسها جبل المانع من الجنوب، بينما تنفتح على الغرب، فتطل على جبل حرمون، وتنفتح على الشرق، فيصبح امتدادها بادية الشام.

إن خصوصية الموقع ليست في الجيولوجيا ولا في الطبوغرافيا الهامتان في تأسيس الحوضة بل في نهر بردى وفعله المائي.. تشكيلاً وإرواءً، وفي الفعل البشري ترويضاً وتجزأة للنهر إلى نهيرات وأقنية كبيرة ومتناهية في الصغر، لتصل كل رقعة يمكن زرعها، وكل بيت يروي عريشة ياسمين وشجرة نارنج ويُجري نوفرة.

شكل (01): دمشق وحوضتها

المصدر: Google earth 2022

هنا نشأت دمشق، فاضحت بسبب الماء والزرّاع والصنّاع والتجّار، الذين أحسنوا زرعهم وصنعهم وتجارتهم، جنّة ومكان عيش مستطاب، ومقصداً ومحطة وعاصمة بلا منافس في محيطها.

الأبعاد التاريخية والثقافية لدمشق

تتباين الآراء حول نشأة نواة المدينة الأولى، هل جذب الماء الإنسان السكن أولاً؟، أم جذبه للعبادة والشكر على العطاء أولاً؟ يعتقد الباحث أن وجود الإنسان، وإدراكه لعبقرية المكان الذي اختاره مكاناً لزرعه وسكنه، سابق للشكر الذي يقدمه الإنسان للمعطي، لذلك فإن البؤرة الأولى للاستقرار فيما عُرف لاحقاً بدمشق، كان على الضفة اليمنى المرتفعة لنهر بردى، قرب قلعتها المتبقية، ثم أنشا فيما بعد مكان العبادة، ومرافق الحياة العامة. لكن الرأي الآخر الذي يأخذ بالميثولوجيا، والرواية الدينية التي تقول بهبوط أبينا آدم وزوجه إلى الأرض في موقع دمشق، تجعل البؤرة الأولى للمدينة مكان عبادة، يتصوره محمد يسار عابدين[1] كهفاً طبيعياً استخدم للعبادة، تطور إلى معبد (الشكل 2)، نشأت إلى جانبه (الآغورا) مكان الحياة الإدارية والاقتصادية والثقافية كما نشأت أماكن السكن وتوسعت قرب المعبد والآغورا، مثلما يبدو في الشكل التوضيحي (2). ويبرر عابدين نظريته حول نواة المدينة ونشأتها بوجود تجمعات أخرى على أطراف الحوضة، وتلال مأهولة فيها سابقة لدمشق في تأسيسها. من هذا المنطلق يرى أن قداسة

المكان كانت مبرراً لنشأة المدينة وتوسعها، وهي قداسة مذكورة في الكثير من النصوص الدينية والتاريخية والسير. لقد توسع المعبد الصغير ليصبح كبيراً عند تطويبه كمعبد للإله جوبيتر (المرحلة 3 في الشكل) وتصل مساحته إلى نحو مائة ألف متر مربع، تراجعت فيما بعد إلى نحو 15 ألف متر مربع عندما تحول إلى كنيسة يوحنا المعمدان، ثم إلى الجامع الأموي. أما (الآغورا) فقد نشأت وتوسعت إلى الشرق من المعبد وتجاوزت مساحتها القصوى مساحة المعبد بنحو مرة ونصف المرة، ويشغل مكانها الآن سوق تجاري وحي دمشقي عريق هو (القيمرية).

شكل (02): مراحل تشكل المدينة

المصدر: وفق عابدين – بتصرف

وبالرغم من عدم وضوح بقايا المدينة من العصور الحجرية، وتشكلها كتل أثري واسع، بسبب إعمارها المتلاحق وتتالي طبقات العمران دون انقطاع، إلا أن هذه السيرة من إعمارها تحصيل حاصل، قياساً إلى بقايا التلول الأثرية الشاهدة في أرجاء غوطة دمشق.

[1] محمد يسار عابدين، أثر الميثولوجيا الدمشقية في نشأة المدينة ونموها ميثودولوجيا في تاريخ قدسية المكان،

وبغض النظر عن النشأة الأولى للمدينة، فإن نشأتها مرتبطة بنهر بردى، والتربة الزراعية التي أرسبها مشكّلا مساحة سهلية واسعة، سمحت بنشوء مستقرات بشرية عديدة، أضحت دمشق مركزها المتوسط، وأغناها بالمياه ومظاهر الحياة الحضرية، كما كان للإنسان الدور الأعظم في تشكيل الغوطة بعد تجزأة النهر إلى فروع وأقنية تصل إلى كل أرض وبيت.

كان تخطيط المدينة في العد اليوناني والروماني هندسياً بشوارع مستقيمة بينها مربعات ومستطيلات، تحولت مع الزمن إلى شوارع وأزقة متعرجة، قد يكون السبب في تحوّل شكلها إلى صعوبة التعامل مع مخلفات المباني القديمة، التي استخدم معظمها في البناء الجديد، إضافة إلى تغيّر المفاهيم والقواعد والاحتياجات المعمارية بين الحضارات المتعاقبة.

دمشق في كتابات الرحالة والمؤرخين

يعدّ ابن عساكر (علي ين الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي) الذي عاش في القرن السادس الهجري – الثالث عشر الميلادي، من أهم الكتاب الدمشقيين الذين كتبوا عنها، ووضع كتابه: تاريخ مدينة دمشق، في عدة مجلدات، تحدثت عن تفاصيل كثيرة تاريخ المدينة وحياتها اليومية[1] وأصبحت طريقته في تأريخ الحوادث اليومية للمدينة قدوة لغيره، فظهرت كتابات البديري الحلاق عن حوادث دمشق اليومية[2].

جمع لها محمد كرد علي في كتابه (دمشق، مدينة السحر والشعر) في بداية القرن العشرين، ما كتبه الكثير من الرحالة والمستشرقين والشعراء، وأعيد إصدار كتابه مرات عديدة3. ومما جاء في كتابه: وصف المقدسي في القرن الرابع مدينة دمشق بأنها مصر الشام، ووصف ياقوت الحموي في القرن السادس بأنه لم يرَ في بلد آخر مثلها، كثرةُ الأنهار بها وجريان الماء في قنواتها، فقلَّ أن تمر بحائط إلا والماء يخرج منه في أنبوب، إلى حوض يشرب منه ويستقي الوارد والصادر...، والمساكن بها عزيزة لكثرة أهلها والساكنين بها وضيق بقعتها، ولها ربض دون السور محيط بأكثر البلد يكون في مقدار البلد نفسه". كما أورد ما كتبه ابن دمشق شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي الملقب بـ(شيخ الربوة) في أوائل القرن الثامن الهجري – الثالث والرابع عشر الميلادي، في وصف المدينة بأنها ليست كبيرة برقعتها بما نراه ضمن سورها وما حوله، ولكن لو جمعنا العمارة المبثوثة في غوطتها والعمارة الموجودة تحت أرضها من قنوات ومسارب ومخازن مشتبكة طبقات يمنة ويسرة، لوجدناها مدينة عظيمة تشبه طائراً أبيض في مرج أخضر يرتشف ما يصل إليه من الماء أولاً بأول. ونقل ماوصفها به المستشرق الفرنسي «موريس باريس»

[1] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر 1995.

[2] أحمد البديري الحلاق، حوادث دمشق اليومية. (أواسط القرن 18 ميلادي)

[3] محمد كرد علي، دمشق، مدينة السحر والشعر. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013م

حين قال: "... دمشق موطن من مواطن الفكر، ومعهد من معاهد الشعر، وقصر من قصور الروح، فيها يجتمع الغرب والشرق، لا يحاول كلٌّ منهما أن يصرع صاحبه، بل يجنح إلى التفاهم معه والامتزاج به.. "[1]

وجمع أحمد الإيبش وقتيبة الشهابي ما كتبه المؤرخون والجغرافيون العرب والمسلمين عن دمشق[2]

تشير الوثائق التاريخية إلى اهتمام الدول القوية التي نشأت في شرقي المتوسط ووسطه، وفي مصر وبلاد الرافدين وصولاً إلى أرمينيا وبلاد فارس ووسط آسيا بدمشق، فقد دخلها حرباً أو سلماً قادة وجيوش منذ الألف الثالثة قبل الميلاد. فدخلها الأشوريون والبابليون والمصريون والفرس والأرمن واليونانيون والرومانيون والعرب المسلمين والمغول والصليبيين والعثمانيين والفرنسيين وغيرهم.. فكانت مدينة عاصمة عامرة في كل هذه العصور، ومع كل هذه الأحداث، كان سحرها يشفع لها أمام الغزاة والطامعين في كثير من الأحيان.

رأس المال الاجتماعي – التعاضد المجتمعي

تؤدي عناصر الثقافة المشتركة للمجتمع المديني وانصهار العناصر الجديدة الملتحقة بها، إلى تنمية نشاطات وتقاليد مجتمعية بنّاءة في معظم الأحيان، وهدّامة في بعض الحالات يمكن أن تؤثر على الانتاج المجتمعي بجانبيه المادي واللامادي. ويمكن أن يظهر ذلك بصيغ التعاضد الاجتماعي لتنظيم وحماية المدينة أو الحي، وقد يأخذ شكل التكتل الاجتماعي أو السياسي ليساهم في إعلاء سمعة أو كلمة أو تحسين بنى تحتية). ويصف أمل أبو عياش رأس المال الاجتماعي[3] بأنه القوة الاجتماعية الكامنة لتحسين ظروف المعيشة، المستند إلى التعاون بين أفراد الجماعة. ويتألف رأس المال الاجتماعي من شبكات اجتماعية لتأمين التعاضد، وشبكات مشاركة مدنية (مجتمع مدني) تساهم في الدعم المادي والمعنوي للمجتمع المحلي (حسب روبرت بوتنام) ويمكن لنشاط هذه الشبكات أن يقوّض سياسة الدولة، أو قد يؤدي إلى العزلة والانغلاق وذلك حسب الأفكار المسيطرة. وبشكل عام، فإن رأس المال الاجتماعي يمكن أن يكون فردياً، يجنيه كل فرد من خلال سيرته وسمعته وعلاقاته، ويمكن أن يكون جماعياً على مستوى الأسر والأحياء، والبلدات والمدن وصولا إلى مستوى الدولة، أو المجموعات القومية أو الدينية. إن أهم منعكسات رأس المال الاجتماعي تظهر في الثقة والسمعة سواء كان على مستوى الفرد أو الجماعة التي يرتبط عيشها برقعة معينة (مدينة) فما هي ملامح الثقة وجوانب السمعة التي تشتهر بها دمشق؟

- ملامح طبيعية وبيئية جميلة تزينها مياه عذبة تنساب إلى كل بيت،
- مناخ معتدل يجعلها مرغوبة شتاء لأهل الشمال البارد، ومرغوبة صيفاً لأهل الجنوب الصحراوي.

[1] محمد كرد علي، المصدر السابق

[2] أحمد الإيبش، قتيبة الشهابي، دمشق الشام، في نصوص الزمانيين والجغرافيين والبلدانيين العرب والمسلمين.

[3] أمل أبو عياش، رأس المال الاجتماعي، محاضرات في المعهد العالي للتخطيط الإقليمي، جامعة دمشق، 2020

- بيئة معمارية أصيلة في المدينة القديمة، جذابة بشكلها ومضمونها.
- تقاليد تعامل وضيافة راقية يتمتع بها أهل الشام.
- ثقة بمستوى السلع والخدمات المقدمة.
- وجود التنظيمات والمؤسسات المجتمعية المهتمة بالتعاضد المجتمعي وحسن معاملة الضيوف.

تؤدي عناصر الثقافة المشتركة للمجتمع إلى تنمية نشاطات وتقاليد مجتمعية بنّاءة في معظم الأحيان، وهدّامة في بعض الحالات يمكن أن تؤثر على الانتاج المجتمعي بجانبيه المادي واللامادي. ويمكن أن يظهر ذلك بصيغ التعاضد الاجتماعي لتنظيم وحماية المدينة أو الحي، وقد يأخذ شكل التكتل الاجتماعي أو السياسي ليساهم في إعلاء سمعة أو كلمة أو تحسين بنى تحتية.

سكان دمشق

يصعب اليوم تحديد من هم السكان الأصليين لدمشق، ومن هم الملتحقين بها على فترات ما زالت مستمرة. وغالباً ما يعتبر سكان المدينة القديمة داخل السور أنفسهم بأنهم السكان الأصليين، ولهم سجلات أحوال مدنية تثبت ذلك. لكن هذه الإثباتات حديثة العهد نسبياً، ولا تتجاوز بضعة قرون في أحسن الأحوال. عدا عن الاختلاط الجيني بين السابقين واللاحقين. لكن السائد والثابت أن كل من سكن دمشق، وخاصة من ولد فيها يشعر بالانتماء إليها، ويصبح جزءاً من النسيج الاجتماعي للمدينة.

لقد طاب المقام في دمشق لبقايا الفاتحين والغزاة وللتجار والرحالة والحجاج والنازحين واللاجئين، فاستوطنوها، وأسسوا مجتمعاتهم الصغيرة التي سرعان ما انصهرت في مجتمع دمشقي متنوع ومنفتح. ولعلنا نميز أحياءً من دمشق قديمة وأخرى متوسطة القدم ثم حديثة، تميز بعض المجموعات ذات الأصول المختلفة، مثل حارات المدينة القديمة وحي المهاجرين وحي ركن الدين (الأكراد) وحارة المغاربة وحي القدم، ثم الأحياء الجديدة التي ارتبطت نواها بالقادمين من مناطق بعينها مثل جرمانا وحي المزة 86، وحي عش الورور، وحي تشرين، والتي سرعان ما بدأت بالتحول من أحياء وحيدة اللون إلى أحياء ملونة ومركبة الألوان.

تواريخ وأحداث مهمة

عززت الأحداث والمواقع التاريخية المرتبطة بدمشق دورها. فهذا باب كيسان على سورها الجنوبي يشهد دخول بولص مؤمناً بالمسيحية بعد أن قصدها شراً، ويخرج منها إلى أوروبا رسولاً مبشراً بها. وتلك أطراف حي الميدان جنوبي المدينة، الذي كان يشهد أسواق التجارة اليمنية والشامية استقبل الرسول العربي محمد (ص)، فبني مسجد في الموضع الذي يقال بأن موضع قدمه محفور فيه، وغير بعيد عنها (في بصرى الشام) كانت النبوءة له من الراهب بحيرة بأنه النبي المنتظر.

استقبلت دمشق جيش عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد، وتأسست فيها الدولة الأموية وتحوّل معبد جوبيتر إلى كنيسة يوحنا المعمدان ثم إلى الجامع الأموي الكبير، وتحولت هوية المدينة تدريجياً إلى عربية إسلامية مع احتفاظها بالمكونات المعمارية والاجتماعية السابقة لها، فازدهرت وأضحت عاصمة لدولة كبرى امتدت من حدود الصين حتى اسبانيا، ومركزاً للفعاليات السياسية والاقتصادية والثقافية...

في القرن الثالث عشر اجتمعت فيها جيوش صلاح الدين الأيوبي، وانطلقت لتحرير القدس، ثم استقر وجيشه في دمشق فأسس حياً خاصاً لمن أراد الاستقرار من جيشه، ثم دفن صلاح الدين فيها بجوار الجامع الأموي.

جاءها الأتراك في القرن السادس عشر، فكانت لهم كما من سبقهم (شام شريف) وتركوا فيها إرثاً بشرياً ومعمارياً واضحاً..

جاءها الفرنسيون سنة 1920 وأمضوا فيها ستة وعشرين عاماً، ولم يستطيعوا تغيير هويتها، بل اضافوا بعض المباني ووضعوا أول مخطط تنظيمي لها سنة 1936.

استقبل سكان دمشق المهاجرين واللاجئين إليها منذ قرون وكرّمت شخصياتهم وأنزلتهم في الأماكن اللائقة والقلوب المحبة. ولعل تشريقة المغاربة إلى الشام منذ قرون واستقرارهم هناك مثال واضح على العلاقة بين المغرب والمشرق، وأبرز هذه الأمثلة استقبال دمشق للأمير عبد القادر الجزائري في أواخر القرن التاسع عشر، والمكانة الكبيرة اللائقة التي حظي بها مع أهله ورفاق دربه، والدور الإيجابي الذي لعبه في السياسة والمجتمع السوري حتى وفاته وتشييعه بمراسم الرؤساء والملوك إلى مثواه الأخير، ثم تشييع رفاته إلى الجزائر.. بقي حي المغاربة في دمشق، وقصر الأمير فيها ومتحفه، وعدة قرى مغاربية السكان في الجنوب السوري.

استقبلت دمشق الأكراد والشركس والأرمن، ثم استقبلت الفلسطينيين واللبنانيين والعراقيين والسودانيين والصوماليين في نكباتهم، كما استقبلت المناضلين من حركات التحرر وفي مقدمهم الجزائريون، فأضحت مدينة أممية يتجاور فيها الجميع السكن وسبل الحياة، ما منحها انفتاحاً على الآخر وقبولا له في كل الأزمان، وشكّل رصيدها الكبير من صيغ التعاضد الاجتماعي، والثقافة المجتمعية.

دمشق – كنز الشرق

تعدّ دمشق من أقدم مدن العالم تأسيساً، وأكثرها ديمومة إعمارٍ كعاصمة، فهي أقدم عاصمة لم ينقطع عمرانها، ولم تنقطع مهمتها كعاصمة، سواء لدولة محدودة المساحة، أو امبراطورية واسعة الأطراف. إن سرّ دمشق في موقعها وموضعها. فاعتدال المناخ فيها ووفرة مائها وخضرتها في رقعة شبه جافة، جعلها قبلة ومقصداً ومطمعاً ومحطة على الطريق الرئيسة بين شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها. تبدأ منها وتنتهي إليها الطرق والقوافل، وتجمع فيها وتخرج منها البضائع الثمينة في تجارة العالم القديم. وهي إضافة

إلى ذلك حملت صفات القداسة لما لها من تكريم روحي، وما فيها من مواقع روحية ومعابد يقصدها للتبرك القاصي والداني.

نشأت فيها أماكن الحياة العامة والإدارة (الآغورا) وأماكن السكن والإقامة، ثم ظهرت أسوارها الخارجية وحاراتها المغلقة وأسواقها ومشاغلها المميزة بما تصنع وما تبيع، وقد ساعد وجود الماء العذب الوفير على نشأة المدينة واتساع مزارعها وسعة العيش فيها.

كانت محطة رئيسة على طريق الحرير القديم، وعلى طريق التوابل والبخور. فإليها تنتهي طرق القوافل القادمة من الجنوب (رحلة الشتاء والصيف) ومنها تنطلق بمنتوجات الشام الزراعية والصناعية. واستمرت في مواكب الحج (الشامي) إلى مكة المكرمة. تلك المواكب السنوية التي كانت تحمل معها كسوة الكعبة المصنوعة على يد الدمشقيين، وتجتمع فيها حشود الحجاج القادمين من آسيا الصغرى وما خلفها شمالاً وغرباً. بل كان الحجاج المغاربة يصلون إليها في طريقهم إلى مكة، وكثيراً ما يطيب لهم العيش فيها وفي أرض الشام، فتصبح مقصدهم النهائي، وقد حدث هذا على مدى قرون، ولاسيما عندما ازدهرت الطرائق الصوفية في بلدان المغرب، وعُرف الرحالة من المتصوفين والعلماء المغاربة، فأسسوا لهم مكانة في قلوب أهل الشام، وفي زواياها ومدافنها.

وظائف المدينة

جذبت الطبيعة الجميلة ووفرة الموارد الناس ليستقروا فيها. فدمشق – هبة بردى– نشأت على ضفافه، وتوسع عمرانها وزرعها مع تقدم الأعمال الهندسية لشق الأقنية الرئيسة والفرعية تمت لتوسيع الرقعة الزراعية وتوزيع مياه بردى على كل أرض وكل بيت في غوطتها. جعلت منها جنة صغيرة موصوفة بمائها وخضرتها ولطافة جوها وسكانها، إضافة إلى القداسة الروحية التي تمتعت بها منذ نشأتها، حيث نُسب إلى هذه البقعة (في الموروث الشعبي) هبوط آدم وحواء من الفردوس الأعلى، كما نُسبت إليها مواجهة قابيل وهابيل، فمغارة الدم التي شهدت الجريمة الأولى على سفح قاسيون (مقام الأربعين)، ومقام هابيل على أحد الجبال غربها ما يزال مزاراً دينياً يقصده الكثير من المؤمنين.

انطلاقاً مما سبق، يمكن وصف فعاليات المدينة بأنها مركبة، روحية ومادية. ففي الجانب الروحي توجد المزارات التي تعود إلى آدم، وتمر بالحضارات المتعاقبة. ولعل أكبر المعابد في الشام كان معبد جوبيتر بمساحة وصلت إلى نحو مائة ألف متر مربع تقلصت عند تحوله إلى كنيسة يوحنا المعمدان ثم الجامع الأموي إلى نحو 15 ألف متر مربع. إن سعة مكان العبادة يدل على عدد مرتاديه والمتجمعين فيه في المناسبات الدينية من أهل المدينة وحجاجها، ويعطي بالتالي مؤشراً على عدد سكانها، وعلى الخدمات التي تقدمها المدينة. ودون الغوص في تاريخ المدينة إلا أن ما تشتهر به دمشق من صناعات مما جلب لها شهرة إضافية هو الحرير الدمشقي والسيف الدمشقي. أي النقيضين بين الطرواة والنعومة والحدة والقساوة.

فصناعة النسيج الحريري في دمشق أنتجت تحفتها النسيجية المعروفة (البروكار الدمشقي) الذي ما زالت صناعته مستمرة إلى يومنا هذا. أما صهر المعادن وابتكار خلائطها فقد كانت صناعة النحاس والبرونز والفولاذ الذي صنعت منه السيوف الدمشقية. وما زالت مشاغل النحاسين والحدادين قائمة وعاملة شمال سور المدينة، مثلما نجد بالقرب منهما سوق المناخلية والسروجية والصابونية.

أبواب المدينة الخارجية والداخلية وحاراتها: يبلغ طول سور دمشق القديمة نحو 4.5 كم، بينما تبلغ مساحة الرقعة الواقعة داخل السور نحو 1.33 كم^2، وللمدينة القديمة ثمانية أبواب رئيسة:

1- **باب الفرج:** قرب قلعة دمشق في زاويتها الشمالية الغربية،

2- **باب العمارة:** يقع في منتصف السور الشمالي، ويؤدي إلى مقام السيدة رقية والجامع الأموي

3- **باب السلام:** يقع في السور الشمالي ايضاً، ويفتح ناحية الآغورا القديمة وإلى أحد أهم أحياء دمشق القديمة.

4- **باب توما:** نسبة لأحد تلامذة السيد المسيح، ويفضي من الشمال إلى الأحياء المسيحية من المدينة القديمة.

5- **الباب الشرقي:** وهو أحد الأبواب الرئيسة القديمة جداً، حيث يعد نهاية الشارع المستقيم (أطول شارع يقطع المدينة من غربها إلى شرقها) دخل منه الفاتحون المسلمين، مثلما دخلوا من الباب المقابل له في الغرب (باب الجابية).

6- **باب كيسان:** يقع عند الطرف الجنوبي الشرقي من سور المدينة، يفضي إلى مجموعة من الكنائس والكاتدرائيات، ومنه دخل بولص الرسول إلى دمشق، ليصبح مبشراً بالمسيحية في كل شمال حوض المتوسط.

7- **الباب الصغير:** يقع في الجهة الجنوبية من السور ليربط بين حي الشاغور داخل وخارج السور، ذلك الحي الذي خرج من الأسوار لكونه مدخلاً رئيساً باتجاه الطريق صوب الحجاز واليمن، وخروج القوافل منها، وقد نشأت خارج السور مقبرة شهيرة لأهل دمشق تسمى مقبرة باب الصغير، أو مقبرة آل البيت لكثرة ما دفن فيها من آل البيت والصحابة، فأضحت مدفناً ومزاراً دينياً يقصده الكثيرون من سكان دمشق وزوارها.

8- **باب الجابية:** يقع في الطرف الجنوبي الغربي، ويفضي إلى سوق مدحت باشا والشارع المستقيم.

غالباً ما يذكر أن لدمشق سبعة أبواب، ويتم غض النظر باب كيسان المغلق كونه لا يتصل بشارع من شوارع المدينة القديمة. أما حارات دمشق القديمة فكما يبدو من المخططات فإن بعضها يبدو مغلقاً بجدار أو بوابة كان يتم إغلاقها ليلاً، فتضفي جواً من الطمأنينة والشعور بالأمان لسكان الحارات والحياء المتجانسة اجتماعياً، وتحدد المسؤوليات بين أهلها. وقد أصبحت طرائق الحماية الذاتية في الحارات من الماضي على مدى عقود، ثم استيقظت بطريقة مختلفة أثناء الحرب الأخيرة في العقد الثاني من هذا القرن، حيث تشكلت مجموعات حماية شعبية في الأحياء، تعبر عن حالة التعاضد المجتمعي للسكان والحماية الذاتية.

أما أسواق دمشق التجارية التقليدية فهي كثيرة جدا، وتصل إلى أكثر من ثلاثين سوقاً متنوعاً ومتخصصاً، مفتوحاً ومغلقاً وأهم الأسواق التراثية هي:

*– **سوق الحميدية:** لعل أشهر أسواق دمشق المتنوعة سوق الحميدية الذي يعود بناؤه للقرن التاسع عشر، في عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني. يبلغ طوله نحو 600 متر وعرضه 15 متراً، تحف به المحال التجارية من جانبيه، وكان مسقوفاً بالخشب في بدايته، ثم استبدل الخشب بالحديد والزنك بعد تعرض الخشب للحريق.

في هذا السوق مئات المحال التجارية التي تبيع التحف والسلع التذكارية، والجلديات والملابس الخارجية والداخلية مع تخصص دقيق في كل منها، وهناك محالّ (البوظة العربية – أو الأيس كريم) التي تصنع يدوياً أمامك في محلات فتحت أبوابها منذ أكثر من قرن، ودخلتها شخصيات سياسية وفنية وأدبية وعلمية بارزة، تجد صورها معلقة على الجدران، وكانت تعتمد في صناعة (البوظة) على العرك والدق اليدوي بواسطة مدقات خشبية كبيرة، ويضاف إلى الوجبة التي تقدم في صحن أو في قمع قطع الفستق الحلبي المقشور...

في هذا السوق ايضاً يقف المسوقون أمام محالهم ينادون باهم بضاعتهم، ويدعون المارة بعد تفحص الوجوه للدخول إلى محالهم، بكلمة تفضل أو تفضلي.. عندنا كذا وكذا.. شيء ممتاز في نوعه ومناسب في سعره.. ولكثرة سماعك كلمة (تفضلي) في أحد تفرعات هذا السوق المتخصص بما يخص النساء أصبح يدعى (سوق تفضلي)

*– **سوق مدحت باشا:** بني في عهد والي دمشق مدحت باشا في القرن التاسع عشر أيضاً، يبدو التخصص فيه واضحاً، بين الصناعات المتعلقة بملابس أهل البادية ومجالسهم في بدايته، وتجارة الأقمشة في وسطه والعطارة والبزورية في آخره.

يعدّ هذا السوق القطاع الغربي من الشارع المستقيم الذي يخترق المدينة القديمة من غربها إلى شرقها. إذ انه يبدأ من باب الجابية، وينتهي عند الباب الشرقي، تبدأ فعاليات الشارع المستقيم بسوق متخصص

بمستلزمات الفراش، ثم البسط (ما يفرش على الأرض) ثم (العبي) ثم المناشف واقمشة الملابس الرجالية التقليدية بما فيها الحريرية (البروكار الدمشقي) ولاسيما في تفرع سوق الخياطين، ثم يأتي سوق العطارين والبزورية وسوق المحامص والمكسرات، وسوق الصناعات التراثية والمقتنيات الأثرية، والفنادق والمطاعم التراثية في البيوت والقصور الدمشقية المميزة.

*- **سوق البزورية:** سوق مغطى يتفرع في نهاية سوق مدحت باشا، متخصص بتجارة البذور والبهارات والمكسرات. يتميز هذا السوق بالروائح المنبعثة من قطاعاته المختلفة. حيث يبدأ من روائح حوانيت العطارين الذين يشعلون البخور والعود، ويبثون بعض العطور من قواريرهم، إلى قطاع القهوجية، الذي تنبعث من حوانيته روائح البن والهيل. إلى قطاع المكسرات والكراميل، حيث تبهرك الألوان وتعدد الأصناف المعروضة وطعماتها المختلفة. فالقاعدة هنا أن تتذوق قبل أن تشتري. وأن تسمع قبل أن ترى.. فجلبة السوق وأصوات (البياعين) التي تنادي لتسويق بضائعها تتناغم مع المعروضات وطعمها هنا وتجذب المارة إلى الشراء بعد تردد أو مرور باتجاه الأسواق الأخرى، أو لمجرد (الفرجة) فقط.. نعم يمرّ معظم الناس ليشاهدوا ويسمعوا ويشموا، ويقع معظم المارة بشباك الباعة، فهنا بائع يناولك لتتذوق شيئاً من معروضاته، وهناك آخر يرش العطر، وثالث يرندح مقطعاً من اهزوجة يصف فيها بضاعته.

*- **سوق الخياطين:** سوق متخصص يشغل شارعاً فرعياً ضيقاً يربط بين سوق الحميدية وسوق مدحت باشا، تباع فيه مستلزمات الخياطين المختلفة.

*- **سوق الحرير وسوق الجمرك وسوق العرائس:** أسواق متخصصة متجاورة لبيع الأقمشة ومستلزمات تنظيم الحفلات وتجهيز العرائس. تدهشك بالتنوع في البضائع والأزياء المعروضة، وفي عمق تخصص التجار والباعة في هذه الأصناف وخبرتهم في الأنواع التي يتاجرون بها، وطرائقهم في تسويقها وترويجها.

*- **سوق القباقبية:** واحد من بقايا الأسواق القديمة المتخصص بصناعة الأحذية الخشبية المفتوحة التي كانت تلبس في المنازل (القبقاب) بدل (الشبشب أو الشحاطة)، وتحدث جلبة واضحة عند التحرك بها، حتى وصل الأمر إلى ضرب الإيقاع الموسيقي بها في المناسبات المنزلية. وقد تحول هذا السوق تدريجياً إلى صناعات خشبية تقليدية خفيفة مثل بعض المنحوتات الخشبية، وطاولات النرد والشطرنج والمنقلة وغيرها، ويتموضع هذا السوق الآن مع ممارسة مباشرة للحرف التي تتعامل مع الخشب على يمين سور الجامع الأموي.

*- **سوق الذهب:** بل أسواق الذهب والفضة والحلي بأنواعها. تتميز أسواق الذهب العديدة بتجمعها قرب بعضها، مما يؤمن لها الحماية من جهة والتنافس الإيجابي باستقطاب الزبائن إلى السوق من جهة ثانية، بحيث يجد الزبائن طلباتهم قبل مغادرة السوق. تتميز محال الذهب في دمشق بضيق واجهاتها عموماً،

وغناها بالمعروضات، دون إجراءات حماية واضحة. أما المصوغات الفضية فنجدها موزعة ومنفردة وأهم تجمع لها في سوق المهن اليدوية في طرف من أطراف التكية السليمانية بجانب وزارة السياحة.

إن ذكر ووصف أسواق دمشق التقليدية يستغرق صفحات كثيرة، وربما يكتب عن كل منها كتاباً كاملا، وقد ذكرنا بعضها وأهمها بأسطر قليلة، لكن المهن التراثية مثل صناعة الحلي، والنسج اليدوي للحرير الطبيعي (البروكار)، وصناعة الزجاج الملون، الموزاييك والصدف والزخرفة والآلات الموسيقية، والنحاسية (النحاسين)، والسروج (السروجية)، والمناخل (المناخلية)، والجلديات (سوق الخجا)، والصابون (سوق الصابونية)، وغيرها الكثير هي من أسواق حرف مدينة دمشق التي تشكل جزءاً من تقاليدها، ويشارف بعضها على الاندثار.

شكل (03): مخطط مبسطة للمدينة القديمة مع سورها وأبوابها.

الحمامات والخانات الأثرية

أحصي في دمشق القديمة ثمانية عشر حماماً تراثياً، وسبعة وعشرين خاناً أثرياً، إضافة إلى مئات سبل المياه العذبة للشرب. لقد كانت دمشق محجاً بحد ذاتها خلال عهود مختلفة. فمعابدها ثم كنائسها القديمة المرتبطة بأسماء وكرامات الرسل والقديسين، وكانت مقصداً لزيارات دينية جمعية في مواعيد محددة ومن مناطق بعيدة. وعندما أصبح الحج الميسحي إلى بيت المقدس وجوارها، أضحت دمشق واحدة من محطات الحج الرئيسة، التي تقام فيها الشعائر الدينية المرتبطة بطريق الحج المسيحي.

أما في العهد الإسلامي، فقد برزت في دمشق مواقع كثيرة للزيارة الدينية، وأصبحت مركزاً يتجمع فيه الحجاج، قبل أن ينظم موكبهم من قبل السلطات القائمة على شكل قافلة ضخمة، فظهرت مجموعة من المهن التي امتهنتها عائلات دمشقية، وحملت اسم مهنتها المرتبط بالحج، مثل: المحملجي – المسؤول عن محمل الحج، والسقا – المسؤول عن حمل مياه الشرب وسقاية الحجاج، والسنجقدار – المسؤول عن الكتيبة

العسكرية المرافقة لقافلة الحجاج، وغيرهم كثير.. كما ظهرت أماكن الإقامة (الخانات) وأماكن التجمع (الساحات)، وأماكن الاستحمام (الحمامات)، والسبلان (لشرب المياه النقية مجاناً في شوارع المدينة والطرق الداخلة والخارجة. ولم تكن هذه المرافق خاصة بوقت الحج، بل أضحت جزءاً من منشآت المدينة، وارتيادها حاجة أحياناً، وترفاً أحياناً أخرى. فدخول الحمام الدمشقي ليس لمجرد الاستحمام، إنما كان وما يزال فضاءً اجتماعياً، يلتقي فيه الأصدقاء والجيران (رجالا ونساء كل على حدة)، يمضون فيه وقتاً للاسترخاء وتبادل الأحاديث وحل المشكلات الاجتماعية وربط بعضها، وتناول بعض المأكولات والمشروبات الساخنة، ولاسيما في الشتاء. فالحمّام دافئ في قسمه الخارجي (البراني) حيث يجتمع رواده، ساخن في قسمه الأوسط (الوسطاني)، حيث تبدأ مراسم الاستحمام. حارّ في قسمه الداخلي (الجوّاني)، وهنا ينقطع الكلام وينجز الاستحمام..

تم الاستغناء عن معظم الحمامات القديمة، والاحتفاظ ببعضها بعد ترميمه وتشغيله، ليؤدي وظيفته الأساسية، والسياحية التراثية (حمام نور الدين الشهيد وغيره..)

أما الخانات فهي اماكن الإقامة للغرباء من زوّار المدينة والتجار القادمين إليها والحجاج العابرين لها. وإذا جاز التصنيف لهذه الخانات حسب مفاهيم اليوم، فبعضها كان متواضعاً على أطراف المدينة (نجمة واحدة أو نجمتان) أما في المركز التجاري والسكني فكانت الخانات من المستويات الراقية عموماً ويمكن تصنيفها بانها من فئة (الخمس نجوم). ولم تكن الخانات مجرد أماكن للإقامة المؤقتة للمسافرين والزائرين، بل أماكن لعقد لقاءات العمل وعقد الصفقات التجارية والاجتماعية. وكانت الخانات تتصل بمخازن ومستودعات نودع فيها بضائع النزلاء، واسطبلات لحيوانات الركوب وأعلافها. بينما جمعت بعض الخانات في الأطراف وعلى الطرق المؤدية إلى دمشق هذه الأقسام معاً في بناء واحد: مكان إقامة النزلاء والمستودع والاسطبل في طابقين.

تحولت معظم خانات دمشق الواقعة داخل أسوار ها إلى أسواق ومستودعات متخصصة، بينما تحول أحدثها (وربما أجملها) إلى متحف تقام فيه المناسبات الثقافية (خان أسعد باشا العظم).

التشكيلة المجتمعية – ضمان للسياحة

تتميز دمشق بنسيجها المجتمعي المتنوع في أصوله، المنسجم والمعتدل في سلوكياته. فهنا تجد بقايا المجموعات القديمة التي عمّرت المكان، سكناً ومعابد وقصور ودور حكم وأسواق، وتجد من جاءها منذ قرون طويلة أو عقود أو سنوات قليلة. الكل يشعر بالانتماء، لكن الأقدم يتفاخر على الأحدث بالانتماء إلى العائلات الدمشقية الضاربة بالقدم، لكن السائل سيفاجأ بأن لا أحد يتفاخر بانتمائه إلى عرق ما أو دين أو مذهب أو قبيلة أو عشيرة، مع أنه ينتمي ويعرف انتماءه.. وصحيح أيضاً أن المدينة القديمة تضم قطاعات

فيها أكثريات دينية أو مذهبية، لكنك تجد الاختلاط واضح ضمنها، وفي الأحياء خارج السور بشكل أوسع، وفي الأحياء الجديدة والحديثة. إن التربية الدمشقية تقضي بالمحافظة على خصوصية الانتماء، لكنها تحافظ أيضاً على قواعد العيش المشترك والتعاضد المجتمعي العابر لهذه الانتماءات. ولا يعني ذلك عدم حصول اهتزازات موضعية وآنية على خلفية هذه الانتماءات، لكنها كانت تطوّق ويتم تجاوزها في زمن قصير نسبياً، وغالباً ما كانت هذه الاهتزازات بفعل قاصد خارجي أو جاهل داخلي.

يؤدي وجود التشكيلة الاجتماعية في دمشق إلى مجتمع منفتح نسبياً، ومتقبل للزائر والغريب، وإلى نشوء مصالح مشتركة بين أفراد هذه التشكيلة تخدم حياة المدينة وزوارها. كما أن هذه التشكيلة تخلق نوعاً من التخصص في الخدمات المقدمة وتنوعاً في الأجواء الاجتماعية التي يمكن أن يلقاها وينسجم معها الزائر. فمن يريد بيئة اجتماعية منفتحة نسبياً، سيجدها في أحد قطاعات المدينة، ومن يريدها محافظة نسبياً، سيجدها في قطاع آخر، مع درجات فيما بينهما، ولا يجد أي من الطرفين حرج في ممارسة تقاليد الانفتاح أو المحافظة، لأنها جميعها تمارس باعتدال. أما التجارة والخدمات المتعلقة بالإقامة والطعام والشراب فهي متشابهة في كل قطاعات المدينة اليوم، لكن الزائر يجد تنوعاً في أجواء هذه الأماكن بين التراثية في دمشق القديمة، والأماكن التي تتبع أسلوب الحداثة وما بعدها في تنظيم المكان والخدمات. والقاسم المشترك الأعظم بين هذه الأماكن هو الماء والياسمين: نافورة في فسحة داخلية لبيت عتيق، أم نهر جار، أو بحرة أو مسبح، تزينها عرائش الياسمين وتعبق برائحته أشهراً عديدة من السنة. ولا عجب أن اتخذت سلطات المدينة زهرة الياسمين رمزاً لها، وأصبحت دمشق تدعى: مدينة الياسمين، الذي ينتشر بكثرة في شوارعها وحدائقها العامة والخاصة، ويساهم في تشكيل (عبق المدينة).

الأنشطة الثقافية والمتاحف

تحوّل عدد كبير من مباني دمشق القديمة إلى متاحف، ومبان للأنشطة الثقافية وإلى فنادق ومطاعم ومقاهٍ تراثية يرتادها القريب والغريب. حافظت المكتبة الظاهرية (نسبة إلى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس) على وظيفتها، مع تخصصها بالمخطوطات القديمة. وتحوّل البيمارستان النوري (وهو مشفى علاجي من العهد المملوكي) إلى متحف للطب والعلوم، ليحتوي على أدوات ومخترعات الطب والعلوم القديمة. وتحوّل قصر أسعد باشا العظم – والي دمشق في العهد العثماني إلى متحف لعرض تقاليد الحياة الدمشقية. وتحوّلت المدرسة الجقمقية إلى متحف للخط العربي، وتحول مكتب عنبر (وهو مدرسة الذوات في القرن التاسع عشر) إلى مبنى ضيافة وإدارة لحماية المدينة القديمة، وتحولت قلعة دمشق إلى متحف وموقع أنشطة فنية وتراثية، كما تحولت عشرات القصور والمباني الدمشقية القديمة الفخمة إلى فنادق ومطاعم تجتذب إليها سكان العاصمة وزائريها..

يعطي الغنى المعماري وفنونه البارزة في التصاميم والفرش الداخلي عناصر جذب عززتها الحركة الفنية السورية من خلال الدراما التلفزيونية في العقود الأخيرة، فأصبحت هذه المكونات وتلك التقاليد التي تم تصويرها بشيء من الواقعية أحياناً، ومن المبالغة أحياناً أخرى دعاية سياحية مباشرة لدمشق والحياة التقليدية فيها، وربما يفاجئ الزائر بكثير من المكونات المعمارية والتقاليد الاجتماعية التي لم يرها في الأعمال التلفزيونية، ألا وهي روح المكان...

روح المدينة

لا شك بأن لكل مكان روحه، ولكل مدينة خصائصها التي يشعر بها الزائر ليس فقط بحواسه الخمسة إنما بقلبه وإحساسه الخاص. روح دمشق تتمثل بمكوناتها المادية والثقافية، فالتجاعيد التي تراها على وجه عجوز تنبئ بما مر على ذلك الوجه والجسم من عوارض وأحوال. لكن دمشق التي تبدو هرمةً وفق عمرها، متجددة الشباب بالنسبة لفعاليتها كمدينة تحمل صفات شكلية وممارسات من تاريخها، وحداثة في تعاملها مع الأحداث اليومية وحضارة اليوم..

وصحيح أن دمشق التي عانت الأمرين خلال العقود الأخيرة، ولاسيما في العقد الثاني من هذا القرن، ومازالت تعاني من صعوبات جمة في توفير سبل العيش الكريم لأبنائها، إلاّ أن زوار دمشق يلحظون أيضاً استمرار الحياة بغناها المادي والثقافي على قدر ما يستطيع كل شخص أن يعبّر عن حبه للحياة. فالأسواق تعجّ بروادها، وكذلك المقاهي والمطاعم وأماكن النزهة بدءاً من المنصفات الخضراء للشوارع، حتى المنتجعات الفارهة.. المهمّ الخروج من البيت وخاصة يوم العطلة، والترويح عن النفس في ظروف صعبة على الجميع.

دمشق في سنوات الحرب

كانت السنوات الأخيرة صعبة على دمشق.. مرّت أيام كانت تتساقط عليها القذائف بالعشرات، لكن شوارعها لم تخلو يوماً من المارة والمتجولين المحبين لشوارعها وأزقتها، لحجارتها وآثارها، لطعامها وشرابها، ومقاهيها التراثية.. وصحيح أن زوارها الأجانب تراجع عددهم إلى درجة الندرة، لكن أهلها، ومن استطاع الوصول إليها من السوريين في سنوات الحرب ظلوا أوفياء لها، فما تركوا صخب الحياة يغيب عن شوارعها وأزقتها وأسواقها وأماكن عبادتها.. فما سرّ هذه الجاذبية؟

سرّ ذلك في عبقرية وعبق المكان وروح المدينة ورأسمالها الإجتماعي، وتقاليدها الحياتية الذي يمنحها سحراً لا يقاوم، يجعلها محبوبة عشاقها وغريمة أعدائها.. المدينة التي تأبى الهزيمة وتعشق الحياة..

المصادر والمراجع

- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر 1995.
- أحمد الإيبش، قتيبة الشهابي، دمشق الشام، في نصوص الزمانيين والجغرافيين والبلدانيين العرب والمسلمين.
- أحمد البديري الحلاق، حوادث دمشق اليومية. (أواسط القرن 18 ميلادي)
- أمل أبو عياش، رأس المال الاجتماعي، محاضرات في المعهد العالي للتخطيط الإقليمي، جامعة دمشق.
- محمد يسار عابدين، أثر الميثولوجيا الدمشقية في نشأة المدينة ونموها ميثودولوجيا في تاريخ قدسية المكان.
- محمد كرد علي، دمشق، مدينة السحر والشعر. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013م
- هشام المكي، نحو هوية مستدامة للمدينة العربية: رؤية فكرية عابرة للتخصصات.